



# أزمة، فوضى، نهاية أو نشأة مستأنفة: محاولة لفهم التحولات التي تعيشها الصحافة وتأويلها

نصر الدين لعياضي  
جامعة الجزائر – الجزائر.

alayadi2014@outlook.com

*Received: 22 Jun. 2015,  
Revised: 11 Jul. 2015, Accepted: 08 Oct. 2015  
Published online: 1 (January) 2016*

---



# أزمة، فوضى، نهاية أو نشأة مستأنفة: محاولة لفهم التحولات التي تعيشها الصحافة وتأويلها

نصر الدين لعياضي

جامعة الجزائر - الجزائر

## الملخص

أصبحت التحولات التي تعيشها الصحافة مصدر قلق بالنسبة للناشرين والصحافيين، وموضوع تفكير بالنسبة للباحثين. فأنتجت العديد من الخطابات التي تحاول أن تفسرها. فبعضهم يرى أن هذا التغيير عبارة عن فوضى، والبعض الآخر، يراه مؤشرا على أزمة حادة تعيشها الصحافة المعاصرة، والكثيرون منهم يرون أن هذا التغيير يعبر عن نهاية الصحافة. تحاول هذه الدراسة تفكيك هذه الخطابات بالكشف عن خلفياتها الفكرية وحدودها المعرفية موضحة بأن الصحافة، كممارسة اجتماعية وثقافية، تعيش نشأة مستأنفة. ولتحقيق ذلك استعانت هذه الدراسة بقراءة تاريخية وثقافية لمسار الصحافة، وتفعيل مفهوم "البراديفم" الصحفي "Journalistic Paradigm" على ضوء السياق التقني والاجتماعي الذي يعرفه قطاع الاتصال الجماهيري في الوضع الراهن.

الكلمات المفتاحية: الفوضى، البراديفم، البراديفم الصحفي، الصحافة المدنية، صحافة الاتصال، صحافة الرأي.



# Crisis, Anarchy, End or Resumed Birth: An Attempt to Understand

Nacer-Eddine Layadi  
University of Algiers - Algiers

## Abstract

Changes experienced by the press have become a source of concern among publishers and journalists, and a subject of reflection for researchers which produced a score of discourses that tried to explain such changes. Some of them conceive this change as an anarchy, some others perceive it as a critical crisis which the modern press is going through, and many others see this change as the end of the press.

This study attempts to dismantle these discourses by unveiling their intellectual backgrounds and their cognitive limitations clarifying that the press as a sociocultural practice lives a resumed birth. To achieve this, the study used a historical and cultural lecture of the evolution of the press and by activating the concept of “Journalistic paradigm” in light of the technical and social context experienced currently by the Mass Communication sector.

**Keywords:** Crisis, anarchy, journalistic paradigm, civil journalism, communicative journalism, opinion journalism.

# أزمة، فوضى، نهاية أو نشأة مستأنفة: محاولة لفهم التحولات التي تعيشها الصحافة وتأويلها

نصر الدين لعياضي

جامعة الجزائر - الجزائر

إن الحديث عن نهاية الصحافة يحتاج إلى توضيح، فماذا يعني بالضبط؟ هل هو نهاية الحامل الورقي الذي أعلن عن موته مرارا، وتم تأجيله أكثر من مرة. وتزايد عدد المؤمنين بحتميته في الوسط المهني والأكاديمي مع كل تأجيل؟ هل المقصود منه المؤسسة كبنية تنظيمية ومهنية أو خطاب؟ ألا يندرج الحديث عن نهاية الصحافة ضمن فلسفة «النهايات» التي وسّمت الفكر المعاصر: نهاية الأدب وموت الكاتب، ونهاية المسرح والسينما، ونهاية الفلسفة والايديولوجيا والتاريخ، وغيرها من النهايات التي لا نهاية لها؟ ويمكن قبول فكرة نهاية الصحافة واستساغتها إذا أضفنا لها الجملة التي نرى أنها تملك دلالة كبرى لأنها تكشف عن واقع أعمق وأكثر تعقدا وهي: « كما عرفناها في النصف الثاني من القرن العشرين».

إن الحديث عن أزمة الصحافة أصبح شائعا اليوم، ولم يعد مروجوه بحاجة إلى المزيد من الأمثلة لتأكيدهم أمام ارتفاع عدد العناوين الصحفية التي كفت عن النشر الورقي ورحلت إلى الفضاء الافتراضي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، والتراجع الكبير في توزيع نسخ ما تبقى من العناوين التاريخية. فالصحف اليومية الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت توزع ملايين النسخ في بداية القرن العشرين لم يبق منها اليوم سوى أربع، ويكاد توزيعها لا يتجاوز أكثر من ٤٠٠ ألف نسخة (بوليه، ٢٠١١، ص ٤٦).

يتفق جميع الباحثين على أن الصحافة تعيش تغييرا عميقا وسريعا على أكثر من صعيد: الحامل، والبنية الاقتصادية، وأشكال الكتابة، وطبيعة الخطاب، والعلاقة بالجمهور، لكنهم يختلفون في توصيف هذا التغيير وتأويل مآله. فالكثير منهم يعتقد أن الصحافة بلغت آخر مرحلة من تطورها، وسيكون الفناء مصيرها<sup>١</sup> والبعض منهم يعتقد أن الصحافة تعيش أزمة حادة أو حالة غير مسبوقة من الفوضى.

نعتقد أن هذه التوصيفات تطرح مسألة تمثل الباحثين للصحافة سواء نظروا إليها من زاوية أنها ولدت كاملة ومنتهية النمو أو نمت وتطورت وفق أنموذج واحد ووحيد، وأن صلاحية استعماله قد انتهت. لذا بدأت تعيش أزمة وجود أو حالة من الفوضى نتيجة التطور التكنولوجي العاصف، الذي فجر قنوات التواصل في المجتمع، وتبعها للتغيير الذي طرأ على المجتمعات المعاصرة.

١ - الكثير من الكتاب من أهتم بنهاية الصحف، منهم بوليه برنار: نهاية الصحف ومستقبل الإعلام، ترجمة طه الخالد، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١١، ويمكن الإشارة إلى أن الباحث الفرنسي المختص في علم الاجتماع أريك نوفو أضاف لطبعة كتابه الموسوم: سوسيولوجية الصحافة، الثالثة الصادرة في ٢٠٠٩ فضلا كاملا بعنوان: الأيام الأخيرة للصحافة؟ - أنظر:

Erik Neveu (2009) sociologie du journalisme, France, La Découverte.

- Quoted by Héloïse Lhéréty in «Internet tuera-t-il la presse?», Sciences humaines, France, July 2012

الصحافة، بل يركز على البيئة الإعلامية الجديدة التي تسعى إلى محو الحدود بين وسائل الإعلام الكلاسيكية والميديا "الجديدة" من جهة، وإلى ما ترتب عن الانتقال من وسائل الاتصال الجماهيري Mass Media إلى وسائل الاتصال الجماهيري الفردية Self Mass Media، من جهة أخرى.

إن الفوضى، في هذا المقام، ليست كلمة أو مفهوماً، بل إنها نظرية رياضية وفيزيائية خصصت لدراسة الأنظمة الديناميكية. وتطبق في شتى التخصصات العلمية، مثل الفيزياء والفلك، وأحوال الطقس، والكيمياء العضوية، والعلوم الاجتماعية. (Gleick, 2008، ص ١٠) بمعنى أنها مجموعة من الأدوات النظرية التي تسمح، ضمن ما تسمح به، بشرح الفجوة القائمة بين الواقع والتوقعات أو التنبؤات. (Damien, 2007) لكن من الصعب أن نصف نقل الأخبار، مهما تزايد عددها، بالفوضى وذلك لأن تعريف الخبر هو نقل الأحداث الاستثنائية والشاذة بجانب المتوقعة، لكن يبدو أن استخدام نظرية الفوضى لتوصيف حقل الإعلام والاتصال لا يقتصر على المضامين الغزيرة والمتضاربة، في بعض الأحيان، التي تتناولها الميديا، بل يشمل، أيضاً، أشكال اتصالها وسردها، وعُدتها، وأنماط ملكيتها وأشكال استخدامها وغايات هذا الاستخدام. وإن كانت غاية نظرية الفوضى تكمن في البحث عن منطق النظام الذي يتحكم فيما يبدو، ظاهرياً،

٢- أنظر على سبيل المثال:

Fenton Natalie: New Media, Old News: Journalism and Democracy in the Digital Age, Martin Lister: New Media: A Critical Introduction- Routledge, 2009, 446 pages

٢- هذا ما تؤكد عليه الباحثة أن سافوا، التي تطرح إشكاليات السرد الإعلامي من منظور «المتاهة» Labyrinth، التي تحافظ على تعايش الفوضى والنظام مما يسمح بانقرائية النظام. - أنظر:

Ariane Savoie: Les nouveaux médias ou l'ère du labyrinthe intermédiaire; Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Maîtrise en études cinématographiques; Département d'histoire de l'art et d'études cinématographiques; Faculté des arts et sciences; Université de Montréal; juin 2010

لكن الحديث عن أزمة الصحافة ليس جديداً كما يعتقد البعض وإن كانت أعراضها أكثر قوة اليوم. فالصعوبات التي تواجهها الصحافة اليوم لم تبرز بظهور شبكة الانترنت، مثل تراجع توزيعها وقلة الأقبال على قراءتها، وتقلص مواردها المالية نتيجة ذلك وللعزوف عن شرائها. لقد بدأت الصحافة تعاني من الصعوبات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص، أما ما يتعلق بطبيعتها وخصوصية خطابها، فالكاتبان «لو كام» و«رويلو» (Le Cam, Ruellan, 2014، ص ٢٧) يقدمان بعض الأمثلة الدالة على الطابع التاريخي لأزمة الصحافة، إذ يرجعانه إلى ١٨٩٧. وقد ندد الكثير من الكتاب بتوقف بعض عناوين صحف الرأي عن الصدور معلنة عن الانسحاب التدريجي لهذا النمط من الصحافة من فضاء الإعلام المكتوب. وبانسحابه تزايد الاحتجاج على تغييب حرية الصحافة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. (Kayser, 1955، ص ٢٣٩)

تدفننا هذه الأسباب مجتمعة إلى ترجيح القول أن الصحافة تعيش أزمة "براديفم Paradigm"، أي أن الإطار النظري الشامل الذي نتطرق منه لفهم التحولات التي تعيشها الصحافة لم يعد فاعلاً، بل تجاوزته التحولات التي تعيشها هذه الأخيرة.

يجب التنويه إلى أننا ننظر إلى مفهوم الأزمة بنظرة إيجابية. أي انطلاقاً من مقولة جمال الدين الأفغاني «إن الأزمة تلد لهم ولا يتسع الأمر إلا إذا ضاق». فالثقافة الفرنسية ابتكرت قولها المأثور لوصف صعوبات التغيير، فأطلقت عليها أزمة نمو، إذ تعتقد أن الأزمة عامل معجل في التغيير والتقدم. فأزمة «براديفم» معناه فسح المجال لميلاد «براديفم آخر» باستطاعته أن يفسر التحول الذي تعيشه ظاهرة ما.

يعتقد البعض أن التحولات التي تعيشها الصحافة المعاصرة تتجاوز حالة الأزمة لتصل إلى الفوضى. وهذا التوصيف لا يستند إلى حكم نابع من قراءة العوامل الداخلية التي تحكمت في تطور

القطيعة المتوهمة بين تاريخي "الميديا" التقني والاجتماعي. فالتكنولوجية ليست) علة سوداء لا يمكن أن تُعدل أو تتغير. والوسط الاجتماعي الذي يستقبل المبتكر التكنولوجي هو وحده الذي يمكن أن يتغير حتى يتقبل المبتكر التكنولوجي ويتبناه. (فليشي، ٢٠١٢) (وهذا التصور يتنافى مع نظريات الاستخدام.

يرى الباحث "زاوول" أن الفهم الكلاسيكي للعلوم لم يحتفظ من الطبيعة والمجتمع سوى بالمفاهيم المرتبطة بالتوازن، والنظام، والانسجام. فعدم الانتظام والقطيعة واللائظام في الظواهر الفيزيائية والاجتماعية هي مظاهر يتجاهلها براديفم العلوم «الحديثة» أو يرفض دراستها (Zaoual, 1991، ص١٤٤-١٤٦). فاستخدام نظرية الفوضى في مجال علوم الإعلام والاتصال لا تؤكد تعقد ظواهره فحسب، بل تعبر عن حالة من "الاندهاش والقلق" من التغيير السريع في البيئة الإعلامية والتشاور من مستقبلها الناجم عن العجز عن فهم القوى الظاهرة والمخفية التي تحركها. ويمكن تفسير هذا العجز بأزمة البراديفم الصحافي التي تحدثنا عنها أنفا، والذي يقول عنه الباحث لونس وبنيت أن شأنه شأن أي براديفم علمي يخضع للامتحان. فعندما يعجز البراديفم الصحافي عن استيعاب ما هو شاذ، ويخفق في حل مشكل ما أو تفسير لغز في ظاهرة ما، يوصف بأنه في أزمة ويجب استبداله. بعبارة أخرى، عندما تحدث التغييرات في البيئة إلى درجة أن الابتكارات تتكاثر خلال فترة طويلة وتؤثر، بشكل دال ودائم على عدد كاف من القواعد إلى حد أن النظام يفقد انسجامه فيتحوّل ويضع بتحوّله بعض القواعد الجديدة. بالفعل، إن القواعد السابقة عن التحوّل لا تتغير كلها لكن درجة التحوّل في النظام ككل تصبح غير معلومة.<sup>٥</sup>

أنه غير منتظم في مجال علوم الطبيعية والفيزياء الفلكية والرياضيات، (Ekeland, 1987) فإنها تؤكد التمرد على القواعد والمعايير، والانفلات من النظام، والخروج عن نطاق السيطرة والتحكم في الظواهر الاجتماعية.<sup>٦</sup> ولئن كانت نظرية الفوضى لا تنفي فكرة تطور وسائل الإعلام إلا أنها تقرّ أن هذا التطور غير متوقع وغير معياري. ويبدو أن هذه هي الفكرة المركزية التي تنطلق منها نظرية الفوضى ويعتمد عليها بعض الباحثين في مناقشة التغيير الحاصل في الصحافة، فيرجحوا الفكرة التي تنص على أنها لا تساعد كثيرا على فهمه لأنها توحى ضمنا أن ما عاشته وسائل الإعلام من تغيير عبر تاريخها الطويل كان متوقعا ومدروسا! وهذا يتنافى مع الحقائق التاريخية. فأول فيلم سينمائي ظهر إلى الوجود على يد الأخوين لوميار لم يحدد مصير الصناعة السينماتوغرافية. فهذه الأخيرة تطورت بتقاطع جملة من العوامل التقنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية. والإذاعة شرعت، هي الأخرى، في بث الأخبار دون أن تشكل لغتها الخاصة. إذ يذكر أن صحافيي المحطات الإذاعية في الولايات المتحدة الأمريكية كانوا يتعرضون إلى الضرب من قبل صحافيي وكالات الأنباء والصحف في مطلع الثلاثينات بتهمة سرقة عملهم لأن الأخبار الإذاعية في ذلك العهد اقتصر على قراءة بعض ما تنشره الصحف! وشيئا فشيئا توصلت الإذاعة إلى صياغة لغتها الإعلامية المتميزة. وكذلك الأمر بالنسبة للتلفزيون الذي بدأ في بث الأخبار وكأنه إذاعة مصورة، ثم تمكن، تدريجيا، من ترسيخ لغته الإخبارية الخاصة. لذا تتجلى حدود نظرية الفوضى في تفسير التحولات التي تعيشها وسائل الإعلام عبر سقوطها، بشكل لا إرادي، ضحية

٥- أنظر على سبيل المثال إلى محاولة الباحثين: ريكرو وهيدريس لتوظيف نظرية الفوضى في بحوث الرأي العام في مجال العلاقات العامة:

Johan De Rycker et François Heinderickx: La science du désordre comme source de renouveau des théories de la communication: application aux sondages d'opinion; revue: Communication et organisation, 4 (1993)

5- Quoted by Bennett, W. Lance, Gressett, Lynne A. et Haltom, William. Repairing the new: a case study of the news paradigm». Journal of communication. Vol. 35, no 2 (1985). P. 50-68

فإنه لا يرى الأمر من زاوية الفوضى السائدة في وسائل الاتصال، ولا في أزمة الصحافة، بل في النظام الاجتماعي والمعرفي المعاصر. ففي هذا الإطار يؤكد العالم النفساني والفيلسوف «ميغال بنسيانغ» على ما يلي: (تعاني الصحافة اليوم من آثار ما يسمى بما بعد الحداثة، حيث أصبح لكل شخص حقيقته. إننا نعيش في غمرة نظام خطير جدا)... (”تساوى فيه كل الآراء“)... (فالأفكار التي يخلص إليها شخص اشتغل على موضوع معين لمدة عشرين سنة تتساوى مع ما يقوله أي شخص نكرة في مقهى شعبي. إنه وضع عام يعيشه مجتمعنا. وفي هذا الإطار فإن الصحافة الملتزمة، التي تزن جيدا كلماتها حتى تكون أكثر قربا من الأحداث، لا تسوى سوى ما تساويه وجهة نظر أي شخص. إننا لا نأخذ بعين الاعتبار العمل والجهد الذي بذلته هذه الصحيفة. فكل شيء تحول إلى رأي. فمن هذا المنظور لم تتغير الصحافة بل أهمية الكلمة هي التي تغيرت، والمكتوبة منها على وجه التحديد (.)(بنسيانغ، ٢٠١٥) وعندما يتحول كل شيء إلى رأي وتتساوى كل الآراء يضيع المعنى إن لم يسفه. والسبب في ذلك يعود إلى تفتت التمثلات المشتركة أو الموحدة للمشاكل والقضايا لأن ”استهلاك“ الإعلام تغير وأصبح كل شخص ”يصنع“ منظومته الإعلامية. (Fouks, 2004)

#### النشأة المستأنفة:

للاقترب من فهم التحولات التي تعيشها الصحافة المعاصرة، سنستعين بالعمل الذي أنجزه الباحثان جون شارو و جون دوبنيل و الذي يتضمن مقاربة نظرية ومنهجية للصحافة كما مورست في زمن ومكان محددين بطابعها المبني والمنسجم والمنظم، (Charron, De Bonville, 2004) ص ١٩) وفق البراديفم الصحفي Le paradigm Journalistic Paradigm ، و يعرفان هذا البراديفم بما يلي: إنه نظام معياري أفرزته الممارسة القائمة على النموذج والمحاكاة، ويتشكل من المسلمات ومخططات التأويل، والقيم والأشكال النموذجية التي تُعد مرجعا لمجموعة الصحفيين يُشخصون بها في سياق مكاني وزماني محدد.

إن نظرية الفوضى تعمم ما تعيشه مختلف وسائل الإعلام من تغيرات وتعتبرها ثابتة وراسخة، بينما بعضها لم يصل بعد إلى نقطة اللارجوع ويشد عوده. فبعض الصحف تخلت عن تعليقات القراء أو المستخدمين على ما تنشره في مواقعها في شبكة الانترنت، (Prudent, 2014) سواء لفشل محاولاتها في التوافق بين منطق خطابها الصحفي ومنطق خطاب قرائها أو لخروج الكثير من التعليقات عن الموضوع الذي تطرحه المادة الصحفية المنشورة والانصراف إلى الثروة أو لميلها إلى تفضيل التعليقات القريبة من خطها التحريري وقتاعتها الإيديولوجية. هذا مع العلم أن هذه التعليقات كانت تُعد أبرز سمات التفاعلية. وبهذا يمكن القول أن البعض مما تستخدمه وسائل الإعلام المعاصرة من عدة تكنولوجية ومنصات بث ونشر وتقاسم وصيغ اتصالية لازالت قيد التجربة. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقارن بين التعليقات عن ما تنشره الصحف في مواقعها وما ترسخ من أشكال الكتابة الصحفية القائمة على منطق النص الفائض Hypertext التي يصعب التراجع عنها أو الاستغناء عنها. وهذا الأمر يدفعنا إلى القول أن نظرية الفوضى «تجاهل» القوى المتفاعلة التي تتحكم في استخدام التكنولوجيا وتعديل فيها وتحدد أفاق تطورها، وهي: التطور العلمي/التقني، الاقتصاد، التشريعات الإعلامية، والاستخدام الاجتماعي.

تستند نظرية الفوضى إلى غياب معيارية للتعرف عن طبيعة التغيرات التي تعتمل في قطاع الإعلام والاتصال واستشرافها لأنها تنطلق من اعتقاد أن هذه المعيارية ثابتة وهذا يناقض ما نسميه «النشأة المستأنفة» لوسائل الاتصال في المجتمع المعاصر.

إذا كانت نظرية الفوضى تلتقي مع التيار الفلسفي لما بعد الحداثة في الاتفاق على غياب مرجعية للحكم على الظواهر الجديدة في العالم الاجتماعي، فإن هذا التيار يطرح هذا الغياب في إطار أوسع، وهو نهاية السرديات الكبرى. وبهذا

نشأة مستأنفة تحققها مجموعة من المتغيرات داخل المؤسسة الصحفية ذاتها ومن خارجها، وفي استئناف نشأتها تتجاوز أشكالها التعبيرية القديمة وتغير خطابها. ويميز الباحثان المذكوران بين التغيير والتحول في الصحافة (Charron, De Bonville, 2004، ص ٦٩). فتميزهما يحيلنا إلى الثنائية الشائعة في العلوم الاجتماعية: التغيير في البنية أو النظام، أو تغيير البنية والنظام معا. فالتغيير "العادي" يتعلق بالتحويلات التي تحدث داخل البنية وتمكنها من الاحتفاظ بتكوينها العام، بينما يدل التحول أو النقلة على تغيير البنية ذاتها، وهي أعمق. لذا شخّص الباحثان جون بونفيل وجون شارون (Charron, De Bonville, 2004، ص ٨٥). هذه النقلة بأزمة "براديفم" التي يحدثها التغيير العميق الذي يرافقه ضياع شرعية القواعد المهنية الخاصة بإنتاج الخطاب الصحفي، وبالخطاب ذاته.

إذا اتفقنا على أن الصحافة لم تلد مكتملة النمو وفق صيغة نهائية، فيمكن التمييز بين مسار تغييرها وتحولها، والاقتناع بالقول أن إخراج الصحف وفق المدارس الإخراجية- الجمالية المختلفة لم يتجسد دفعة واحدة. وأن الأنواع الصحفية، على سبيل المثال، لم تلد دفعة واحدة، بل أخذت مسالك مختلفة باختلاف الخصائص الثقافية للمجتمعات وتطور المؤسسات الإعلامية. فمن الخبر ولد التقرير، ومن هذا الأخير ولد الربورتاج. ومن المقال الصحفي، ولد العمود الصحفي. وأن الكتابة في الصحف الورقية بدأت تحاكي الكتابة في وسائط الاتصال الحديثة ومنصاتهما، مثل المدونات الإلكترونية. لقد بدأت هذه الصحافة تتخلى عن قاعدة وحدة الموضوع، وتسمح باسقاطات، أكثر، لذاتية للصحافة فيما يكتبه. لذا يمكن القول أن هذه الأمثلة تؤكد التغيير "العادي" في الصحافة الذي تطرق إليه الباحثان جون بونفيل و جون شارون.

ويمكن أن نلاحظ، اليوم، اتساع ظاهرة الاستساح ونقل المحتويات وإعادة نشرها سواء في

ويلاحمون من خلالها انتماءهم لمجموعتهم المهنية، فتمنح لممارستهم مشروعية (Charron, De Bonville, 2004، ص ٣٦). وهذا يعني أن البراديفم هو مجمل المعتقدات والقيم التي تقوم بدور الدليل، والتقنيات التي تشترك فيها مجموعة علمية محددة وتتجسد بأمثلة- نموذجية صقلت في حوامل علمية وتعليمية كالكتب والمجلات المتخصصة<sup>٦</sup>.

ولد مفهوم المنظور الصحفي من رحم البنائية الاجتماعية، ورغم الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية<sup>٧</sup> إلا أننا نعتقد أن نواتها الصلبة لفهم التحولات التي تعيشها الصحافة، والمتمثلة في القول أن الصحافة هي عملية بناء اجتماعي (Ringoot, Utard, 2015، ص ٤٠) تبدو صالحة إلى حد كبير. وقد كشف عنها الجانب التطبيقي في البراديفم "المذكور". ولتوضيح جوهر هذه النواة يمكن القول أن النظر إلى الصحافة يخضع لتمثلاتنا عنها. فهناك من يعتقد أن الصحافة ظهرت في صورتها الكاملة والتامة، ويرى أن كل تغيير يطرأ عليها يعد انحرافاً يمكن أن يقضي عليها أو يعتبر ضرباً من الفوضى. وهناك من يرى أن الصحافة لم تكتمل نشأتها أو أنها ذات

٦- هذا هو التعريف الذي تقدم به الباحث ميشال ماتين للبراديفم والذي اعتمد عليه لتسجيل تحفظه إن لم يكن اعتراضه على توظيف مفهوم البراديفم في الصحافة على اعتبار أن نقل مفهوم استمولوجي إلى حقل الصحافة يطرح إشكالا وذلك لأن الصحفيين لا يشكلون مجموعة علمية. أنظر:

Mathien Michel: Le journalisme de communication: critique d'un paradigme spéculatif de la représentation du journalisme professionnel. In: Quaderni. N. 45, Automne 2001. Figures du journalisme: critique d'un imaginaire professionnel. pp. 105-135.

٧- يمكن الإشارة، من باب الدقة، إلى أن بعض المساهمات النظرية التي تنفي الطابع العلمي للبنائية في مجال الاتصال والصحافة تحديداً، وتوصف بأنها إيديولوجية، أنظر:

Gauthier Gilles: Critique du constructivisme, Revue Communication en questions de communication: Numéro 3- P 185-198 Retrieved, April 21, 2009 from <http://www.ques2com.fr/index.php?p=details&cat=recherche&type=article&revue=25&id=392>



عاشته في الماضي بالشكل الضيق المتاح في ذلك الوقت. بالطبع إن هذا القول يستثني ظاهرة ما بين وسائط الاتصال أو وسائط الاتصال البينية والتي تسمى Cross Media باللغة الإنجليزية أو Transmediaté - Intermediaté باللغة الفرنسية، والتي سنتحدث عنها لاحقاً، لأن ما يهمنا في هذا المقام هو التحولات، أي التغييرات العميقة جداً والتي تستمر مع الزمن، وليس التغيير العادي، والتي لخصها الباحثان المذكوران في أربعة كبرى (Brin Charron, De Bonville; 2007) في تاريخ الصحافة، وهي كالتالي:

- صحافة النقل: وقد ظهرت منذ القرن السابع عشر، وكان ناشرها يقوم بدور همزة الوصل بين "مصادر الأخبار" والقراء، ولا يتناول الكلمة فيما ينشره ليعبر عن رأيه في الأحداث.

- صحافة الرأي: وظهرت في القرن التاسع عشر لتواكب جملة من التحولات التي عاشتها المجتمعات، خاصة الأوروبية، حيث شهدت تغيير في المؤسسات السياسية والنقاش حول الحق في الانتخابات والحقوق المدنية، وتشكيل التيارات السياسية والجمعيات. فحولت الصحف إلى منابر للمعارك السياسية، وأداة تعبير في خدمة الصراعات السياسية وتوجيه "الرأي العام". فهذه الأنموذج من الصحف لم يقترح خطأ تحريرياً يغير أشكال الكتابة من خلال تبجيل الأنواع الصحفية الفكرية فحسب، بل غير، أيضاً، الغاية الأساسية من وجود الصحافة وفي نوعية كتابتها، وأشكال توزيعها. وقد نلاحظ اليوم انحصاراً كبيراً في عدد هذه الصحف. فالصحافة الحزبية، على سبيل المثال، تكاد تكون من ذكريات الماضي في بعض البلدان.<sup>11</sup>

11 - يمكن أن نلاحظ في الجزائر الغياب شبه التام للصحافة الحزبية. فباستثناء صحيفة «صوت الأحرار» التابعة لجبهة التحرير، لا يملك أي حزب معتمد صحيفته من جهة، ومن جهة أخرى يشكو عالم النشر من قلة الصحف الأسبوعية والمجلات وحتى غيابها. وهذا أدى إلى انتشار صحافة يومية تمزج بين صحافة الرأي والصحافة الإخبارية. وما ساعدها على ذلك هو تقاليد المروثة عن الصحافة اللاتينية، والفرنسية تحديداً التي لا تفصل بين الحدث والرأي.

الصحافة التقليدية ومنصات البث الرقمية بشكل قانوني أو غير قانوني فتوعزها، في الغالب، إلى "شبكة الواب". فما كانت تنشره بعض المدونات الإلكترونية، وما زالت، ينهل من الصحافة المكتوبة، والوصلات التي تتضمنها الكثير من هذه المدونات تحيلنا إلى وسائل الإعلام التقليدية<sup>12</sup> والصحف الورقية بدأت تنشر بعض التدوينات الإلكترونية وأدرجتها ضمن استراتيجيتها الإعلامية.<sup>13</sup> والبعض مما يتداول في مواقع الانترنت أو الشبكات الاجتماعية الرقمية يقتبس من الإعلام "الكلاسيكي"، ناهيك عن أشكال من الشراكة المؤسسية الرسمية Syndication.<sup>14</sup> فكل هذه الوقائع ليست جديدة كل الجدة من ناحية المبدأ فالباحثان فلورنس لو كام ونديس رولان (Le Cam, Ruellan, 2014، ص 58) يؤكدان أن الصحف الجهوية كانت تعيد نشر ما تنشره العواصم في القرن 18، وأن وكالات الأنباء في القرن 19 تطورت بفضل ترجمة الأخبار والمقالات التي تنشر في صحف دول أخرى. هذا إضافة إلى قيام محطات الإذاعة وقنوات التلفزيون بيت ما كانت تنشره الصحف المحلية والوطنية. لذا يمكن المجازفة بالقول أن هذا النقل المتبادل للمضامين من وسيط إعلامي واتصالي إلى آخر يندرج ضمن «التغيير» العادي الذي تعيشه الصحافة، وقد

8- قدر مركز «بيبول لأبحاث» أن 80٪ من الوصلات التي تتضمنها المدونات الإلكترونية ومواقع الشبكات الاجتماعية تحيلنا إلى وسائل الإعلام الأمريكية التقليدية- أنظر:

Pew Research Center: the state of the news media, an annual report on American journalism, 2010

9- للاطلاع عن هذه الاستراتيجية - أنظر:

نصر الدين لعياضي: المدونات الإلكترونية والصحافة: تغيير المنظور لاستجلاء الأفق المعرفي، المجلة العربية لعلوم الإعلام، المملكة العربية السعودية، عدد 5 نوفمبر 2009 ص (292-242) 10- نذكر على سبيل المثال الشراكة بين Associated Press (ap) والبوابة الإلكترونية الكندية: NowPublic.com في فيفري 2007، حيث تقوم الوكالة المذكورة بنشر أخبار هذه البوابة في شريطها الإخباري. والشراكة بين موقع ياهو ووكالة رويترز للأنباء، حيث يمكن لهذه الأخيرة إعادة نشر صور التي يبثها الموقع في شريطها الإخباري. - أنظر:

Jean-François Tétu, « Du public journalism » au « journalisme citoyen », Questions de communication, 13 | 2008, 71-88.

فصحافة الرأي تنظر إلى القارئ كمناضل/ كناخب، بينما صحافة الأخبار تنظر إليه كزبون، وصحافة الاتصال تشد إقامة علاقة أكثر من تقديم معلومات. وتختلف أيضا في الممارسات الصحفية، وقد يمتد هذا الاختلاف إلى هوية الصحف وفق النماذج المذكورة .

يمكن القول أن هذه النماذج المذكورة لم تحظ بإجماع واسع لدى الباحثين فبعضهم اعترض على براديفم صحافة الاتصال بالنظر إلى التقاليد الثقافية والصحفية الفرنسية من جهة، ولاعتقادهم باتساع الحقل الذي يغطيه مفهوم الاتصال وتنوع الممارسات فيه، والتي تشمل الإعلان والتسويق والترويج والدعاية والبلاغة، Mathien, 2001، ص 105-135. قد يتضمن "البراديفم" الواحد عدة نماذج متقاربة إلى حد كبير. فمن ضلع صحافة الأخبار ظهرت الصحافة الصفراء أو صحافة "البنس"، في حدود 1880، واعتمدت على الإثارة في انتقاء الأحداث الخفيفة والغريبة والطريفة والصادمة والتي تستلهم منها عناوينها العريضة إضافة إلى استثمارها للصور وشرائط الكارتون. وتأسيسا على تقاليد صحافة الشعبية People Press التي تشر ما يتعلق بالحياة العامة والخاصة لنجوم الفن والطرب والسينما والمودة والرياضة، وخاصة فضائهم معتمدة أكثر على صورهم. وقد انتشرت هذه الصحافة خلال الستينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية، ووصلت إلى فرنسا في مطلع الثمانينات.

إن البراديفمات المذكورة أعلاه لم تعمم بالقدر الكافي لتشمل مختلف مناطق العالم أو أنها لم تتطابق بشكل تام مع ما وجد من صحف في المناطق غير الأوروبية والأمريكية وهذا أمر طبيعي جدا لتباين التقاليد الثقافية والتنظيم الاجتماعي والسياسي، لكن لا يمكن أن ننكر أنها تجسد التحولات الكبرى التي عاشتها الصحافة ومست مختلف جوانبها. فلو حاولنا، اليوم، أن نقيس صحافة الرأي بمنظار صحافة النقل التي تحدثنا عنها أعلاه، والتي ظهرت في القرن 17، فيمكن

- صحافة الأخبار: وظهرت ما بين 1880-1910 في المدن الأمريكية، وبدأت في الانتشار في مختلف مناطق العالم بدءاً من 1920. وقد عملت على تنظيم مهنة الصحافة واحترافيتها وسعت إلى توسيع قاعدة قرائها استناداً إلى إلزامية التعليم في العديد من المجتمعات، والتصنيع الذي يتطلب حداً معيناً من التعليم. فتوجهها الجماهيري فرض عليها إعادة النظر في اقتصادياتها.

- صحافة الاتصال: يعتقد الباحثان المذكوران Charron, De Bonville; 1996 ص 51-97 أن الصحافة انزاحت عن الإعلام إلى الاتصال. فالإعلام الذي ارتبط تاريخياً بهاجس الموضوعية عاش خلال الفترة الممتدة من 1970 إلى 1980 تحولاً كبيراً حيث انتقل من التركيز على الحدث إلى التركيز على بناء علاقة مع الجمهور. لقد سعت هذه الصحافة إلى ربط الترفيه بالإعلام، والواقع بالخيال (Saidi, 2014) واتجهت إلى تقديم الخدمات من أجل كسب سوق جديد واتسمت بشدة التوعف وبوفرة العرض.

إن الاختلاف بين النماذج الأربعة المذكورة، تشكل استمرارية الصحافة أو تجسداً لنشأتها المستأنفة رغم أنها مختلفة عن بعضها البعض من ناحية البنية الاقتصادية: فصحافة الرأي تعتمد، بدرجة أساسية، على القارئ/ المناضل، وعلى شكل الاشتراكات في تمويلها، بينما تعتمد الصحافة الإخبارية على البيع في الأسواق والإشهار بدرجة أساسية. وتختلف، أيضاً، من ناحية التنظيم المهني وممارسة الكتابة. فكتاب صحافة الرأي هم في الغالب من المناضلين والمثقفين بعضهم يتطوع مجاناً للعمل في الصحيفة دفاعاً عن التيار السياسي الذي ينتمي إليه- أنظر مثلاً الصحافة الحزبية- بينما صحافة الإعلام أهلت مجموعة من الصحافيين وجعلت منهم حرفيين يخضعون لتقسيم العمل داخل الصحيفة ولإكراهات العمل الصحفي. وتباين في طبيعة الخطاب وفي غايتها.

تؤكد تواصل النماذج الصحفية واستمراريتها؛ أي نشأتها المستأنفة.

أما النموذج الثاني: فيتمثل في صحافة البيانات: Data journalism الذي يقوم على فلسفة أن أحسن وساطة بالواقع هو البيانات الدقيقة والصحيحة Vanbremeersch, 2009. وقد برز هذا النموذج نتيجة تطور السياق التقني للعمل الصحفي: التعاون وحتى الاندماج بين العمل الصحفي وتكنولوجيا المعلوماتية، ولطلب اجتماعي في ظل سياق تنافسي شديد: فتزايد المعلومات المتدفقة عبر قنوات التواصل المعاصرة، وتعدد الظواهر المختلفة في المجتمعات الحديثة حيث أصبح من الصعب على الكثيرين فهمها، وتسارع إيقاع الحياة كلها عوامل دفعت الصحف إلى العمل من أجل تيسير فهم هذه الظواهر من خلال الرسوم البيانية والتجسيمات المرئية التي تتيح للمستخدم/ الجمهور التفاعل معها بشكل يلبي حاجاته للمعرفة. ونرى أن ظاهرة "ما بين وسائل الاتصال"، التي تحدثنا عنها أعلاه، روافد لهذا النموذج من الصحافة الذي غير بُنية الخطاب الصحفي ونوعه بإعادة النظر في العلاقة التي تجمع استراتيجية النص وتكتيكات القارئ. Dorfman, 2014، ص 70-81. فهذا النموذج يتبنى منطلقاً مرئياً يقوم على التكتيف والتوضيح. وقد شرعت الكثير من الصحف والمجلات الورقية في الاستفادة من مزاياه. وربما يجد بعض الباحثين بعض نقاط التقاطع بين صحافة البيانات وصحافة النقل التي تحدثنا عنها أعلاه.

وأخيراً، يمكن توضيح التحولات الكبرى التي عاشتها الصحافة والتي تمخضت عنها النماذج المذكورة أعلاه عبر الجدول التالي:

الإستنتاج بسرعة والحكم على أن هذه الأخيرة ليست صحافة بتاتا.

ويمكن أن نضيف إلى هذه النماذج نموذجين نعتقد أنهما يقربان التفكير من التحولات التي تعيشها الصحافة اليوم في بيئة الواب.

**النموذج الأول، وهو الصحافة العمومية أو المدنية** Public press أو Civil Press والتي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، في مطلع التسعينيات من القرن الماضي، بدعوة من الأستاذ الجامعي «جي روسن» لإعادة النظر في موقع الصحافة في الحياة الديمقراطية بعد تزايد انحرافات وسائل الإعلام وما نجم عنها من تراجع عدد قراء الصحف وعزوف الناخبين عن التصويت في الانتخابات وشعور الصحفيين بالإحباط نتيجة تناقص مصداقية صحفهم. فالصحافة المدنية سعت للاقترب أكثر من الجمهور وتحسيسه بأهمية دوره في إدارة الشأن العام، وبإمكانية تغيير وضعه والسعي لإعطاء مضمون للديمقراطية يقوم على مسؤولية الفرد/ المواطن. وإن ظل هذا النموذج محدوداً حتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية وذا طابع محلي، ولم ينتشر في العالم، مثل بقية النماذج الصحفية المذكورة إلا أنه أعاد النظر في علاقة الصحافة بالقراء، وفي توجه الكتابة الصحفية التي تتقاطع مع صحافة الرأي دون هيمنة الخطاب الإيديولوجي والسياسي. ونعتقد أن أهمية هذا النموذج يكمن في صلته بما أصبح يسمى بصحافة المواطن.<sup>12</sup> إنها الصلة التي

١٢ - أنظر على وجه الخصوص:

Jean-François Tétu, «Du «public journalism» au «journalisme citoyen»», Questions de communication, 13 | 2008, 71-88

### نماذج الصحافة عبر تطورها :

النظرة للجمهور	أشكال التوزيع	الغاية الأساسية	الخطاب	التاريخ	النموذج
قارئ	البيع الحر	إعلام	الخبر	القرن ١٧	صحافة النقل
مناضل	البيع النضالي/ الاشتراك	التنوير/ التعبئة	الرأي/ الموقف	القرن ١٩	صحافة الرأي
زبون	البيع المباشر الاشتراك	الأخبار والتسلية	أخبار ريبورتاجات	القرن ٢٠	صحافة الأخبار أ- الصحافة الصفراء ب- الصحافة الشعبية People
جمهور	البيع المباشر الاشتراك	اقامة علاقات	الأخبار	١٩٨٠-١٩٧٠	صحافة الاتصال
مواطن	البيع النضالي/ الاشتراك	التوعية	أخبار/ النقاش	٩٠-٨٠	الصحافة المدنية
المستخدم	شبكة الانترنت	التوضيح / التفسير	البيانات	القرن ٢١	صحافة البيانات

Charron J. et Debonville J (1996):

Le paradigme du journalisme de communication : essai de définition. Communication, vol 17 n 2, PP 51-97.

CHARRON Jean et Jean DE BONVILLE (dir.) ( 2004), Nature et transformations du journalisme. Théories et recherches empiriques, Québec, Les presses de l'Université Laval.

De Rycker Johan et François Heinderickx: (1993) La science du désordre comme source de renouveau des théories de la communication: application aux sondages d'opinion; revue: Communication et organisation, 4.

Dorfman Eran (2014): Michel de Certeau et l'écriture du quotidien, tetrade, revue du centre de recherche en arts et esthétique n 1.

Ekeland, Ivar (1987): Le Calcul, l'Imprévu: les figures du temps de Kepler à Thom., éditions du Seuil, coll. «Points Sciences».

### المراجع :

#### باللغة العربية:

باتريس فليشي ٢٠١٣: الاتصال .. تراكم الوقائع وأوهام الحتمية، ترجمة نصر الدين ليعاضي، مجلة الراصد الإماراتية عدد ١٨٩- مايو

بوليه برنار ٢٠١١، نهاية الصحف ومستقبل الإعلام، ترجمة طه الخالد، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.

ميغال بنسيغ ٢٠١٤: لا أخ أكبر في الإعلام، حوار ترجمة نصر الدين ليعاضي، مجلة الراصد الإماراتية، عدد ٢٠٨.

نصر الدين ليعاضي ٢٠٠٩: المدونات الإلكترونية والصحافة: تغيير المنظور لإستجلاء الأفق المعرفي، المجلة العربية لعلوم الإعلام، المملكة العربية السعودية، عدد ٥ نوفمبر.

#### باللغة الأجنبية:

BENNETT, W. Lance, GRESSETT, Lynne A. et HALTOM, (William 1985): «Repairing the news: a case study of the news paradigm». Journal of communication. Vol. 35, no 2. PP. 50-68.

- Saïdi Sarah: (2014) Le journalisme de communication dans la presse écrite québécoise: étude; comparée du Devoir et de La Presse; revue Communication, lettres et sciences du langage; Vol. 8, no 1 – Septembre.
- Savoie Ariane (2010): Les nouveaux médias ou l'ère du labyrinthe inter médial; Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Maîtrise en études cinématographiques; Département d'histoire de l'art et d'études cinématographiques; Faculté des arts et sciences; Université de Montréal; juin.
- Tétu Jean-François (2008) «Du «public journalism» au «journalisme citoyen», Questions de communication, 13, PP 71-88.
- Zaoual H. James: Gleick (1991) La théorie du chaos vers une nouvelle science: Revue L'Homme et la société, N. 102,. État et société civile. pp. 144-146.
- مواقع الانترنت:**
- Brin Colette, Jean Charron et Jean de Bonville (2007): Nature et transformation du journalisme, Théorie et recherches empiriques Retrieved, April 21,2015 from <http://surlejournalisme.com/wp-content/uploads/2007/05/nature-et-transformation-du-journalismeextraits.pdf>.
- Gauthier Gilles (2003): Critique du constructivisme, Revue Communication en questions de communication: Numéro 3- P 185-
- Fenton Natalie: New Media, Old News (2009): Journalism and Democracy in the Digital Age, Martin Lister: New Media: A Critical Introduction-Routledge.
- Stéphane (2004): Bienvenue dans l'ère du doute, le quotidien Libération; 10 mars.
- Gleick James (2008): La Théorie du Chaos, éditions lammarion-collection champs.
- Héloïse Lhérété (2012): «Internet tuera-t-il la presse?», Sciences humaines, France, Juillet.
- Kayser Jacques (1955) la mort d'une liberté; Paris; édition Plan.
- Lagauzere Damien: Sociologie et théorie du chaos; harmattan; 2007; 242 pages.
- LE CAM Florence, RUELLAN Denis, dirs (2014) Changements et permanences du journalisme; Paris, Éd. L'Harmattan, coll. Communication et civilisation.
- Mathien Michel (2001): Le journalisme de communication: critique d'un paradigme spéculatif de la représentation du journalisme professionnel. In: Quaderni. N. 45, Automne.
- Pew Research\_Center (2010): the state of the news media, an annual report on American journalism.
- Ringoot R, Utard J.M (2005): Le journalisme en invention, nouvelles pratiques nouveaux acteurs, Rennes, Presses Universitaires; coll. Res Publica,



Vanbremeersch Nicolas (2009):  
Pour un journalisme de données;  
Retrieved, April 21,2015 from  
[http://www.slate.fr/story/8643/  
pour-un-journalisme-de-donnees](http://www.slate.fr/story/8643/pour-un-journalisme-de-donnees)

198 Retrieved, April 21,2015 from  
[http://www.ques2com.fr/index.php  
?p=details&cat=recherche&type=a  
rticle&revue=25&id=392](http://www.ques2com.fr/index.php?p=details&cat=recherche&type=article&revue=25&id=392)

Robin Prudent (2014 ) année noire  
pour les commentaires de sites  
d'info, Retrieved, April 21,2015  
from: [http://rue89.nouvelobs.  
com/2014/12/23/2014-annee-  
noire-les-commentaires-256712](http://rue89.nouvelobs.com/2014/12/23/2014-annee-noire-les-commentaires-256712)